

تَعليمُ الصِّبيانِ التَّوحيدَ والسُّنَّةَ والبَدءُ بِهما قَبل تَعليمهم القُرآن

التّوحيد أوّل ما يُبدأ بتعليمه للصَّبِيّ من العُلوم؛ حتى ينشأَ مُوحِّدًا سُنيًّا لا تضرّه الأهواء، ولا البدع، ولا المناهج المُنحرفة الهدَّامة بإذن الله تعالى.

والبدء بالتَّوحيد منهج الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، وعليه سار السَّلف الصَّالح في تعليم أبنائهم.

ومن الأخطاء الشَّائعة في التَّربيةِ عند كثيرٍ من المربين:

الغفلة عن تعليم الصِّبيان التَّوحيد والعقيدة السَّلفية الصَّحيحة، التي كان عليها الرَّعيل الأول من القُرون الثَّلاثة المُفضَّلة.

ولهذا ترى كثيرًا من الأولادِ مُولعين بِحُبّ أعداءِ التَّوحيد والسُّنّة من الكفرة وغيرهم، فلا يعرفون ولاءً ولا براءً، ولا سُنّة ولا بدعة، همج رعاع أتباع كُلّ ناعقٍ، سُرعان ما تدخل عليهم الشُّبهات أو الشَّهواتُ؛ لأن القُلوب خاويةٌ من نور التَّوحيد والسُّنة، فسرعان ما تتأثر بما يُناقضها.

ومما جاء في اهتمامِ الأنبياء عليهم السَّلام ومَن كان بعدهم على اتباعهم بتعليم أولادهم التَّوحيد والعقيدة الصَّحيحة:

٣٠٥ ـ وصيّة إبراهيم ـ خليل الرَّحمٰن ـ ويعقوب عليهما السلام بَنِيهم بالتَّمسُّكِ بالتَّوحيدِ كما أخبرنا ربُّنا تبارك وتعالى عنهما بذلك فقال:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البَقَرَة: ١٣٢].

٣٠٦ وبها وصَّى يعقوب عليه السلام بنيه عند الموت كما قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البَقَرَة: ١٣٣].

٣٠٧ وهي وصيّة لقمان لابنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمَان: ١٣].

٣٠٨ عن جُندبِ بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنّا غِلمانًا حَزَاوِرة مع رسول الله ﷺ، فيعلِّمُنا الإيمان قبل القُرآن، ثم يُعلِّمُنا القُرآن، فازددنا به إيمانًا، وإنَّكم اليوم تعلّمون القرآن قبل الإيمان.

[رواه ابن ماجه (٦١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٩٩)، وابن منده في «الإيمان» (٢٠٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/١٢٠)، واللفظ له، وإسناده صحيح، انظر «مصباح الزجاجة» (٢٣)]

[الغريب] الحزاورة: جمع الحَزْوَر، ويُقال له: الحَزَوَّر بتشديد الواو، وهو إذا قارب أن يبلغ كما في غريب ابن قتيبة (٣/٧٥٨)].

٣٠٩ عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال: لقد عِشنا بُرهةً من دَهرِنَا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزِلُ السُّورة على محمدٍ ﷺ فنتعلَّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يُوقفَ عنده مِنها، كما تتعلّمون أنتم اليوم القُرآن، ولقد رأيت اليوم رِجالًا يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحتِهِ إلى خاتمتِهِ، ما يدري ما آمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، وينثُرُه نثرَ الدَّقَلِ.

[رواه ابن منده في «الإيمان» (٢٠٧)، والحاكم (١/٣٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/١٢٠)، وصححه: ابن منده، والحاكم]

[الغريب: (الدّقل): هو رديء التمر ويابسه]

٣١٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنتُ خَلفَ النَّبيِّ ﷺ يومًا.

فقال: «**يا غُلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يَحفَظكَ.**

احفَظِ اللَّهَ تَجِدهُ تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استَعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ.

واعلَم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتَمَعَت على أن يَنفعُوك بشيءٍ لم يَنفعُوكَ إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ.

وإن اجتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ بشيءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ الله عليك، رُفِعتِ الأَقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ».

[رواه ابن وهب في «القدر» (٢٨)، وأحمد في «مسنده» (١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٦) وأبو يعلى في «مسنده» (٢٥٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٥٦٠و١٢٩٨٨) و«الأوسط» (٥٤١٧)، وابن السُّنِّي في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥) (باب ما يوصى به الغلام إذا عقل)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٥٤١-٥٤٢)

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح. وقال ابن منده رحمه الله: لهذا الحديث طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا أصحها. وقال ابن رجب رحمه الله في «نور الاقتباس» (ص٣٠-٣١): إسناده حسن لا بأس به]

٣١١ عن أبي الأسود: أن الزُّبيرَ بن العوام رضي الله عنه أسلمَ وهو ابن ثمانِ سِنين، فجعلَ عمُّه يُعذّبه بالدُّخانِ كي يتركَ الإسلامَ، فيأبى الزُّبير، فلمّا رأى عمّه أنه لا يترك، تركه.

[«تاريخ ابن أبي خيثمة» (٣٩٠)]

٣١٢ عن حمّاد بن زيدٍ (١٧٩هـ) رحمه الله قال: كُنت في الكُتَّاب، وأنا صغير عليّ ذُؤابة، فجاء عَمرو بن عُبيد [المبتدع إمام المعتزلة] حتى وقف على رأسي.

فقال: يا غُليّم، ما تقول في الدَّعوة؟

فقلت: أمّا الدَّعوة فعامّة، وأما المِنَّة فخاصّة.

فجرَّ بذؤابتي، فقال: علَّموك الكُفرَ صغيرًا.

[ابن الأعرابي في «معجمه» (٩٤٠)]

قلت: قوله: «الدَّعوة عامّة» أي الدّعوة للإسلامِ والهُدى، فهي عامّة للنَّاسِ كُلّهم.

وأمّا المِنّة بالهدايةِ والتَّوفيق لهذا الهدى، فهي لمن خصّهم الله تعالى في سابقِ قَدَرِهِ بالهدايةِ.

وهذا على خلاف مذهب المعتزلة نفاة القدَرِ؛ ولهذا وصف إمام المعتزلة عَمرو بن عُبيد كلام الغلام بالكُفرِ، إذ أنه أثبت القدَرَ الذي يكفرون به. والله أعلم.

٣١٣ عن أُمّ بكر بنت المِسْوَر: أن المِسور (٦٤هـ) سمع ابنًا له وهو يقول: أشركتُ باللَّهِ، ـ أو كفرتُ باللَّهِ ـ فضربه، ثم قال: قُل: أستغفر الله، آمنت بالله، ثلاثًا.

[ابن أبي شيبة (٤/٣١) (١٤٤)]

٣١٤ قال عبد الرحمٰن بن عُمر الأصبهاني: سمعت عبد الرحمٰن بن مَهدي (١٩٨هـ) يقول لفتًى من ولدِ جعفر بن سُليمان: مكانك، فقعد حتى تفرّقَ النَّاس.

ثم قال: تعرف ما في هذه الكورة [يعني المدينة] من الأهواء، والاختلاف؟ وكُل ذلك يجري مِنّي على بال رضي إلا أمرك وما بلغني؛ فإن الأمر لا يزال هيّنًا ما لم يصر إليكم ـ يعني السُّلطان ـ فإذا صار إليكم جلَّ وعظُم.

فقال: يا أبا سعيد، وما ذاك؟!

قال: بلغني أنك تتكلّم في الرَّبِّ تبارك وتعالى وتصفه وتُشبِّهه!

فقال الغلام: نعم ـ فأخذ يتكلّم في الصِّفة ـ.

فقال: رُوَيْدَك يا بُنَي حتى نتكلم أوّل شيءٍ في المخلوقِ، فإذا عجزنا عن المخلوقات فنحنُ عن الخالقِ أعجز وأعجز.

أخبرني عن حديث حدَّثنيه شُعبة عن الشيباني قال: سمعت زرًّا قال: قال عبد الله في قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾ [النَّجم: ١٨].

قال: رأى جبريل له ستمائة جناح؟

قال: نعم. فعرف الحديث.

فقال عبد الرحمٰن: صف لي خلقًا من خلق الله له ستمائة جناح.

فبقي الغلام ينظر إليه.

فقال عبد الرحمٰن: يا بُنَيّ، فإني أهوِّن عليك المسألة، وأضع عنك خمسمائة وسبعة وتسعين، صف لي خلقًا بثلاثة أجنحة، ركِّب الجناح الثالث موضعًا غير الموضعين اللذين ركّبهما الله حتى أعلم.

فقال: يا أبا سعيد، نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق، ونحن عن صفةِ الخالقِ أعجز وأعجز، فأُشْهِدك أني قد رجعتُ عن ذلك، وأستغفر الله.

[«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» اللالكائي (٩٣٢) و«الحلية» (٩/٨)]

٣١٥ عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يُسلَّطُ الدَّجالُ على رَجلٍ من المسلمين فيقتله، ثم يُحييه ثم يقول: ألست بربكم؟ ألا ترون أني أُحيي وأميت؟ والرَّجلُ يُنادي: يا أهل الإسلام، بل عدوّ الله الكافر الخبيث، إنَّه والله لا يُسَلَّط على أحدٍ بعدي.

قالوا: كُنّا نَمرُّ مع أبي هريرة رضي الله عنه على مُعلِّم الكُتَّاب، فيقول: يا مُعلِّم الكُتَّابِ، اجمع لي غِلمانك، فيجمعهم.

فيقول: قل لهم: فلينصتوا.

أيّ بني أخي، افهموا ما أقولُ لكم، إمّا يُدركنَّ أحدٌ منكم عيسى ابن مريم، فإنّه شابٌّ وضيء أحمر، فليقرأ عليه من أبي هريرة السَّلام.

فلا يَمرُّ على مُعلّم كُتَّابٍ إلا قال لغلمانه مثل ذلك.

[ابن أبي شيبة (١٩٣٦٨) (ما ذُكر في فتنة الدجال)]

٣١٦ عن الميموني قال: قلت لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ): يا أبا عبد الله، لما أُخْرِجَت جنازة ابن طِراح [الجهمي]، جعلوا الصِّبيان يصيحون: اكتب إلى مالك ـ يعني: خازن النَّار ـ قد جاء حطبُ النَّارِ.

قال: فجعل أبو عبد الله يسترُّ، وجعل يقول: يصيحون يصيحون.

[«السنة» للخلال (١٧٦٨)].

قلت: **حُذِّروا وهم صِبيان من هذا الجهمي، فلمّا مات وحُمِلت جنازته، فرحوا بموته، وجعلوا يصيحون بذلك.**

٣١٧ قال عليّ بن الحسين بن حبان: وجدت في كتاب أبي بخطِّ يده قال: أبو زكريا إبراهيم بن خيثم بن عراك بن مالك قد سمعت منه، كان هاهنا على السِّيب يصيح به الصِّبيان: ذا كلاس [لقب لرجل]، لم يكن ثقةً، ولا مأمونًا، رَجُل سوءٍ خبيث.

[«تاريخ بغداد» (٦/٦٤)].

٣١٨ قال ذو النّون المصريّ (٢٤٥هـ): مررت بأرضِ مصر، فرأيت الصِّبيان يرمون رجلًا بالحِجارةِ، فقلتُ لهم: ما تُريدون منه؟

فقالوا: يزعمُ أنه يرى الله ﷻ . . .

[«عُقلاء المجانين» للضّراب (١٤)]

٣١٩ ﮐ قال أبو بكر المالكي في [«رياض النفوس» (٢/٤٢٥)] في ترجمةِ أبي بكر يحيى بن خلفون المؤدِّب الهراوي (**٣٤٧هـ**)، كان من أَقْرأ أهل زمانِهِ، وكان فاضلًا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان قد ابتُلي برجُلٍ مشرقيّ يقف بإزاء كُتَّابه فيسُبّ أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ليَنْكيه بذلك ويغيظه، فلما أكثر عليه من ذلك قال لصبيانه: إذا أقبل فأخبروني، فلمّا أقبل أخبروه، فقام فاستخفى في زاويةٍ من زوايا الكُتّاب، وقال لهم: إذا وقف وسبّ ابتدروه، وأدخلوه الكُتَّاب.

فلما أقبلَ على العادةِ، وثبَ عليه الصبيان، فأدخلوه الكُتابَ، وجعلوا رجليهِ في الفلقةِ، فلما فعلوا ذلك قال لهم الهواري: ارفعوا أصواتكم بالقراءة، وقِفُوا بالبابِ، وارفعوا ألواحكم، ففعل ذلك الصِّبيان، وأقبلوا يصيحون لكيلا يعرف أحدٌ بذلك.

ثم ضربه المؤدِّب ضربًا عظيمًا حتى أدماه، وضربه الرَّأس والظَّهر.

فلما أعيا وكَلَّ، قام إليه الصبيان فقالوا: يا مُؤدِّب قد نِلت أنت سهمك مِن ضَربه، فدعنا نحن ننال من ضربِهِ مثل ما نلتَ أنتَ.

فقال لهم: دونكم، فقاموا إليه، فضربه كُلّ واحدٍ منهم ما قدر عليه، فلما لم يبق منه مِفصلٌ صحيح، أخذوه بيد ورجل فرموه في الزُّقاق . .

قلت: ولأهمية البدء بتعليم الصِّبيان التَّوحيد والسُّنّة ألّف الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في هذا الموضوع.

٣٢٠ ﮐ قال في مقدِّمتها: هذه رسالة نافعة فيما يجب على الإنسان أن يُعلِّم الصّبيان التّوحيد قبل تعليمهم القرآن، حتى يصير إنسانًا كاملًا على فطرةِ الإسلامِ، جيّدًا على طريقة الإيمان ورُتبتهِ. . اهـ.

قلت: **فإذا نشأ الصَّبيّ على التّوحيد الصَّحيح والسُّنّة الصّحيحة التي لا تشوبها الأهواء ولا البدع ولا المناهج المنحرفة؛ لم تضره الأهواء والبدع بإذن الله تعالى.**

٣٢١ قال مُطرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخير رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنّا نأتي زَيْد بن صوحان، وكان يقول: يا عبادَ اللَّهِ أكرموا، وأَجْمِلوا، فإنّما وسيلة العبادِ إلى الله بخصلتين: الخوف، والطَّمع.

فأتيته ذات يومٍ وقد كتبوا كتابًا فنسقوا كلامًا من هذا النّحو:

إن اللَّهَ رَبُّنا، ومحمدًا نبينا، والقرآن إمامُنا، ومن كان معنا كُنَّا وكُنّا، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكُنَّا وكُنَّا، قال: فجعلَ يعرضُ الكتابَ عليهم رَجلًا رجلًا، فيقولون:

أقررت يا فُلان حتى انتهوا إليّ، فقالوا: أقررت يا غُلام؟

قلت: لا.

قال: لا تعجلوا على الغُلام، ما تقول يا غلام؟

قال: قلتُ: إن الله قد أخذَ عليّ عهدًا في كتابهِ فلن أُحدِثَ عهدًا سوى العهد الذي أخذه الله عَزَّوَجَلَّ عليَّ.

قال: فرجع القومُ مِن عندِ آخرهم ما أقرَّ به أحد منهم.

قال قتادة: قلت: لِمطرف كم كُنتم؟

قال: زُهاءَ ثلاثين رَجُلًا.

[«الحلية» (٢/٢٠٤)]

قلت: **ومع ثباتِ الصَّبيّ على التّوحيد والسُّنّة؛ فإنّهم يكونون كذلك عَونًا لآبائِهم بعد الله تعالى على التَّمسك بها، والثبات عليها في أشدِّ المواقفِ والمِحنِ كما:**

٣٢٢ قال محمد بن سُوَيد الطَّحَّان: كُنَّا عند عاصِم بن عليّ، ومعنا

أبو عُبيدٍ القاسم بن سلَّام، وإبراهيم بن أبي الليث وذكر جماعة، وأحمد بن حنبل يُضْرَبُ ذلك اليوم.

فجعل عاصم يقول: ألا رجلٌ يقوم معي، فنأتي هذا الرَّجل فنُكلِّمه؟

قال: فما يُجيبه أحدٌ.

قال: فقال إبراهيم بن أبي الليث: يا أبا الحُسَين، أنا أقومُ معك.

فقال: يا غلام، خُفِّي [أي طلب خُفَّه ليذهب].

فقال إبراهيم ابن أبي الليث: يا أبا الحُسين، أبلُغُ إلى بناتي، فأوصيهم، وأُجَدِّد بهم عهدًا. فظننّا أنّه ذهبَ يتكفَّن ويتحنّطُ، ثم جاء فقال عاصم: يا غُلام، خُفي، فقال: يا أبا الحُسين، إني ذهبت إلى بناتي فبكين.

قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسطٍ: يا أبانا، إنَّه بلغنا أنَّ هذا الرَّجلَ أخذَ أحمد بن حنبل، فضربَه بالسَّوطِ على أن يقولَ: القرآنَ مخلوقٌ، فاتّق الله، ولا تُجبه إن سألك، فوالله لأن يأتِينا نعيك أحبُّ إلينا من أن يأتِينا أنّك قُلتَ القرآن مخلوق.

[«المنتظم» (١١/٦٩)، «تهذيب الكمال» (١٣/٥١٤ ـ ٥١٥)]

أصلح الله لنا ولكم الذُّرّية، وثبتنا الله وإيّاكم على الإسلامِ والسُّنّة، وجنَّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

